دكتور بهاء الأمير

القبالاه والموسيقى

السؤال

السلام عليكم، نشكر الدكتور بهاء على فضح البلاليص الذين ابتلينا بهم كثيراً، نسأل الله الهدى والثبات، سؤالي للدكتور: هل للموسيقى والمعازف علاقة بالقبالاة؟

مما فهمته من الدكتور أنهم يقدسون الأحرف العبرية والأرقام، وبعض الأصوات والترانيم قد تجعلهم يتوحدون بالإله، إذ أنهم يزعمون أن الكون صدر عنه وانبثق منه، سبب سؤالي حقيقة ما نسمعه مؤخراً من مقولات غريبة ممن يستحلون المعازف، وهنا لا أتكلم عن المسألة فقهياً، فأحدهم يقول إنه يرى الله في الموسيقى، والآخر يقول إنها من طيبات ما أحل الله!!

والذي قال هذه الأخيرة نفسه في الحلقة نفسها قال إنه لاحظ أن الطرب والترانيم وجدت في الغرب عند الفلسفة اليونانية، وفي الشرق عند المتصوفة والطرق الصوفية، واستنتج أن هذا يعني أنها تتعلق بالبحث عن الله وعن الحق.

عندما قالها شممت رائحت القبالاه، وتذكرت ما قرأته وسمعته منك عنهم، وهذا القائل هو عدنان إبراهيم، قالها في برنامجه: صحوة الذي يبث على روتانا خليجية في هذا الشهر المبارك.

فأرجو أن تكرمنا بحديث مستفيض في هذا الشأن، لا عدمناك، بارك الله فيكم وشكرا لكم، محبكم معتز.

الإجابة

١

علاقة الموسيقى والفنون عموماً بالقبالاه والحركات السرية علاقة عريقة متعددة الأوجه، وأصلها أن الفنون والموسيقى تحرك المشاعر عبر مخاطبة الحواس والدخول

إلى فضاء الإنسان الداخلي والتأثير في نفسه متجاوزة الوعي والعقل، ولأنها تخاطب الحواس ويخبو معها الوعي ويخلي العقل مكانه لها، ولأنها وسيلة لتجاوز الواقع أو الخروج منه أو التنفيس عنه، ولأنها تقترن باللهو والترف والفراغ، فهي قريبة من عموم الناس وعوامهم، ومن أفعل الوسائل في تحويل أفكارهم وتغيير سلوكهم وأخلاقهم، وفي مرتبة أعلى تكون الموسيقى وآثارها وسيلة لتغيير تكوين الإنسان ونسيج المجتمعات عبر ربطها بأفكار ومعان معينة لتتسرب هذه الأفكار والمعاني معها إلى فضاء الإنسان فتملأه أو تزيح ما فيه وتحل محله متجاوزة عقله وإن توهم عكس ذلك.

والحقيقة التي يأبى أغلب الناس أن يُقروا بها هي أن كل من له آذان يسمع، وكل من له أعين يبصر، ولكن ليس كل من له رأس يعقل، وكثير من الناس يلتبس عليه العقل بما اعتاده، أو ما وجد عليه آباءه، أو وجده شائعاً حوله، أو بما يجد فيه مصالحه أو يرضي أهواءه.

٢

من أجل ذلك كان عمل أبناء القبالاه والحركات السرية على نشر الفنون والموسيقى، وتطوير آلاتها، واكتشاف ذوي المواهب فيها، وتعهدهم في كل مجتمع أو تجمع إنساني تصل إليه سطوتهم والإغداق عليهم، ليكونوا نموذجاً براقاً يتطلع إليه العوام ويحاكونه في سمته وسلوكه، ولتلتهم هذه الفنون وهؤلاء النابهون كل وسائل التكوين وتشكيل الوعي والنفس والوجدان، وتكون أداة تحوير عقائد المجتمع وتغيير سلوكه ووضعه في الصورة التي يريدونها لكل المجتمعات الإنسانية وللبشرية كلها.

والموسيقى كفن ترتبط نشأتها بالحركات السرية، وأول وضْع للسلم الموسيقي وتحديد لتوناته كان من عمل فيثاغورس، وكان وضعه له إفرازاً لعقيدته القبالية في الخلق، وأيضاً لأغراض قبالية، ولم يكن يطلع عليه سوى الإليكتي أو طبقة النخبة في مدرسته التي هي جمعيتة السرية المغلفة بالمدرسة.

٣

القبـالاه والحركـات السـرية عبـر التـاريخ وفـي كـل المجتمعـات توظـف الفنـون والموسيقى للوصـول إلـى غرضـين متلاحمـين ويفضـي كـل منهمـا للآخـر، فـالغرض الأول هـو تحريـف مسـألة الالوهيـة وعلاقـة الإلـه بالإنسـان والكـون والمعرفـة، وهـي المسألة التـي تتحكم الطريقة التي يفهمها بها الإنسان في كل ما يتكون داخل وعيه وينتجه.

والغرض الثاني هو توظيف الفنون في تهتيك نسيج المجتمعات وحل أخلاقها عبر تغليفها فـي رايات الحريـة والتحرر بينما المقصود الحقيقي تذويب المعايير وتفريغها من الموازين ليسهل توجيه البشر ودفع المجتمعات في أي اتجاه.

٤

القبـالاه حرفت مسألة الألوهيـة فحولت الإلـه من واجب الوجود الذي خلق الوجود بإرادة وأمر، وعلاقتـه بـه الإيمان والطاعة، ومعرفة إرادته عبر وحيه، والاقتراب منـه عبر الامتثال لأمره، إلى موجود يوجد في داخله الوجود، أو حل هو فيه، وعلاقتـه بـه الاتصال والتوحد، ووسيلته لذلك التامل فيه وما يبتكره الإنسان من أساليب وتقنيات لهذا التأمل.

فالإلـه فـي الوحي هو الـذي يعرف الإنسـان كيـف يقتـرب منـه، أمـا فـي القبـالاه فالإنسان هو في الحقيقة مصدر علاقته بالإله وهو الذي يتحكم فيها ويحدد طريقتها وأساليبها.

٥

مـن وجوه التحريف فـي القبـالاه أن الخلـق كـان بصـدور الموجـودات وانبثاقهـا مـن ذات الإلـه عبر الأصوات، وأن هذه الأصوات لأنها صدرت عن الإلـه الكامل فهي متسقة هندسياً ومنضبطة حسابياً.

وهذا هو ما دفع فيثاغورس للبحث عن علاقة منظمة بين وحدات الصوت، هي التـي أوصلته لوضـع السلم الموسيقي، من أجل وضـع الأصوات فـي أرتام منتظمـة تحـاكي الأصـوات التـي كـان بهـا الخلـق ومـا زالـت تتـدفق فـي الموجـودات، وحركـة

الأجرام من آثارها وتعبير عنها، وكان وضعه للسلم الموسيقي بشد وتر بين باب بيته والحائط يحاكي به الوتر الذي يعتقد أنه مشدود بين الإله وبين مكونات الوجود، وتحاكي الأصوات الصادرة عنه أصوات الوتر الإلهي التي هي أداة الخلق وطاقة الوجود وروح الإله في الموجودات، فيمكن حينئذ التوحد بها والتوحد عبرها بروح الإله.

مع الزمن طور القباليون العلاقة بين الذات الإلهية والنغمات الموسيقية، فصارت كل نغمة في السلم الموسيقي تعبر عن صفة من صفات الذات الإلهية أو تتجلى فيها هذه الصفة، وهي الصفات التي تتكون منها السفيروت أو شجرة الحياة القبالية، فأول نغمة وهي دو تتجلى فيها صفة تشيسيد أو الرحمة في ذات الإله، والنغمة الثانية ري تسري فيها صفة جيفوراه أو الشدة في الذات الإلهية وهكذا، ومن ثَم فنغمات السلم الموسيقي تمثيل صوتي لمكونات الذات الإلهية وتوصل إليها، والتأليف الموسيقي هو توليف بين هذه النغمات لمحاكاة الانسجام والتناسق بين هذه الأصوات التي تتكون منها الذات والالتقاء معها، وهذا هو أصل ما يردده الببغاوات عن أن الموسيقى غذاء الروح وتوصل للإله، فهي فعلاً غذاء الروح القبالية.

٦

بسبب هذه المعاني المغوية وما تحدثه من إدارة للرؤوس ونشوة في النفوس الخالية من الوحي ومعاييره وموازينه، ولأن الحق ثقيل والهوى غلاب، كان أغلب الموسيقيين في الغرب من أبناء القبالاه، بوعي وقصد أو بالتقليد والمحاكاه، وأبرز أعلامهم كانوا من الماسون وأبناء الحركات السرية، وتمتلئ أعمالهم بالرموز الماسونية والموسيقى الموضوعة خصيصاً لترجمة الأفكار القبالية، ومن أشهر هؤلاء موتسارت وبيتهوفن وفاجنر وهايدن

٧

الموسيقى عند الإغريق من آثار القبالاه، فالسلم الموسيقي وضعه القبالي فيثاغورس، والألحان الإغريقية ولدت مع أساطير هزيود، للتعرف عليهما يراجع كتاب شفرة سورة الإسراء

والموسيقى والأرتام كوسيلة للذكر في الطرق الصوفية من آثار القبالاه المعربة، تراجع نبذتنا عنها في فصل الأصول القبالية لتفسير الحروف المقطعة بالسريانية من كتاب تفسير القرآن بالسريانية دسائس وأكاذيب.

٨

جُل نخب بلاد العرب الثقافية والأدبية والفنية في العصر الحديث قباليون بالتقليد ومحاكاة القباليين في الغرب، وكثير منهم كانوا من اكتشاف اليهود ومحضناً لأفكارهم في الغرب أو داخل بلادهم في الشرق، مباشرة أو عبر آثارهم ومن تكونوا بها، ومصدر نفاذ القبالاه وأفكارها فيهم موافقتها للغرائز والأهواء، ولما هو مطبوع في كل نفس من ميل إلى اللهو والترف واتباع الهوى وحب الظهور والرغبة في نوال الإعجاب وجني المال.

ومصدر قوة القبالاه، كما يعلم ويريد الأبالسة الذين من خلفها، خفاؤها وعدم وضع اسمها عليها وتمويهها في غيرها، فهؤلاء االقردة يمارسون القبالاه ويعيشونها ويرددون شعاراتها وهم لا يعون حقيقتها، بل ودون أن يسمعوا باسمها، وهم كانوا وما زالوا في أعمالهم الأدبية والفنية وسائل لتحريف خريطة الوجود الإلهية وتغييب المعايير وإشاعة الفوضى الذهنية والانحلال الأخلاقي.

٩

كون الموسيقى فناً لملأ الفراغ، أو الترويح عن النفس، أو للتعبير عن المناسبات الاجتماعية، وما يباح منها وما يتجاوز المباح، مسألة من الفروع وهي من شأن الفقهاء.

أما القول بأن الموسيقى مسألة روحية أو أنها وسيلة للتواصل مع الإله أو الاقتراب منه وعبادته فمسألة تخرج من الفروع وتدخل في الأصول، وهي تحريف لمسألة الألوهية ومضاهاة للقبالاه.

فالإلـه ولـيس الإنسـان هو الـذي يحـدد كيف تكون الصـلـة بـه، وبـأي وسيلة تكون عبادته والقربى منه، والذين عبدوا الأوثان فعلوا ذلك لأنهم كانوا يعتقدون أنها تقربهم إلى الله زلفى، فهل يعني ذلك أنها حق وتوصل إلى الله حقاً؟

وإذا تعقبت من يرددون هذه الأقوال فستجد أغلبهم من المنحلين وأهل الأهواء، ومن يتكسبون من الهلس، وعبيد الغرب الذي تلوث القبالاه كل ذرة في هوائه وتسري في كل قطرة من مائه.

وإذا سرت خلف هؤلاء فسيكون عليك أن تجتهد في تحفيظ أولادك السلم الموسيقي بدلاً من الفاتحة، وأن تقوم في الصلوات مترنماً بسيمفونيات بيتهوفن، وتختم أعمال موتسارت مرة كل شهر بدلاً من القرآن، وتؤدي مناسك الحج بالطواف حول الكونسرفتوار والسعي بين دار الأوبرا ومعهد الموسيقى!

يقول عز وجل:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾

دكتور بهاء الامير

٢٠ رمضان ١٤٣٧م/٢٦ يونيو ٢٠١٦م